الصورة الحوارية في الشعر الليبي / أحمد رفيق المهدوي نموذجا

د مصطفى سعد المرغني

جامعة الزنتان– ليبيا

ملخص

يهدف هذا البحث كما يُشير عنوانه إلى تسليط الضوء على معالم شخصية أدبية ليبية لها مكانها في الأدب الليبي ، (شاعر الوطن : أحمد رفيق المهدوي) ؛ وذلك بدراسة موجزة لبعض جوانب من شعره في الصورة الحوارية منها المتعلق بحب الوطن ، وغربة الأصدقاء ، والصورة الحوارية في عاطفته ، وفي ذات الوقت تسليط الضوء على شعره الحواري ، سواء أ كان حواراً مباشراً أم من طرف واحد ، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، معتمداً على مجموعة من المصادر والمراجع أبرزها : القرآن الكريم وديوان الشاعر .

مقدّمـــــــــة :

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيّباً مباركًا فيه ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعـــــد ،،،،

فيعدّ الشعر ذا أهمية عظيمة في حياة الأمم ، إذ يصوّر أوضاعها السياسية والاجتماعية والفكرية ، لذا اتجهت إليه أقلام الأدباء والنقّاد ؛ لدراسته وتحليله ، فنتجت عنه آراء متفاوتة ، منها ما يستحق الإشادة به ، ومنها ما يحتاج إلى إعادة نظر وتصويب .

وهذا بحث يتناول الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي ، الذي قضى معظم حياته مغترباً عن أهله ووطنه ، متنقّلاً من بلدٍ إلى آخر ، عاش حياةً تجرّع فيها ألم البعد والفراق عن أهله وذويه، تكاد لا تخلو معظم قصائده من الوطن والحنين إليه، إضافة إلى المعاني التي تثور في نفس كل غريب ، وغربة الشاعر عبر نطاق المؤسسة السياسية القائمة آنذاك المتمثلة في الاستعمار الايطالي ، الذي أثّر سلباً على مختلف شرائح المجتمع الليبي سياسيّاً واجتماعيّا واقتصاديّاً ، ولتأكيد الشاعر بيقينٍ واضح عنه بأن معركته خاسرة ؛ لانعدام تكافؤ قوى الصراع ، فقد وجد نفسه غريباً في محيطٍ قاسٍ بعد أن كافح من أجل الحرية بما أتيح إليه من وسائل ، ومنها الكلمة بالدعوة للوقوف في وجه المستعمر .

والشاعر مهما كان بعيداً عن وطنه ، فإنه لابدّ من أن تحرّكه المصائب التي تعصف بأمته عامة ، ووطنه ليبيا خاصة ، وفي مثل تلك الأحوال لا ينبغي له أن يبقى منسلخاً عن مجتمعه بعيداً بفنّه وأدبه ؛ ليصوغ بشعره صورة الأحداث التي يرتبط بها لمجابهة المستعمر، إمّا بالثورة أو بالتحريض ضد الظلم.

وحبّاً للأدب العربي عامة ، والأدب الليبي خاصة ولا سيّما الشعر، ومساهمة من الباحث بعمل أكاديمي يخدم الوطن ، ويعرّف بأحد شعرائه ، ويبرزه ، ويقدّمه على المستوى القومي من خلال التعريف به كقامة عربية وشعرية تميّزت بالوطنية الصادقة، فقد وقع اختيار الباحث على شخصية شاعر الوطن ؛ ليكون محور هذه الدراسة بعنوان :

(الصورة الحوارية في الشعر الليبي ـ أحمد رفيق المهدوي نموذجا) ، ومدار البحث يبرز موقف الإنسان الليبي من وطنه وقوميته ، وما الشاعر إلا صورة عن مجتمعه ، فكانت البداية بتوطئة موجزة تتّضح من خلالها فكرة عن الشاعر، من حيث مولده ونشأته ولابد من التنويه إلى أن المنهج المتبع ، هو المنهج الوصفي التحليلي لأبيات موجزة لثلاثة أغراض ، فكان عنوان المبحث الأول : الصورة الحوارية في شعره الوطني ، والمبحث الثاني : في شعره الاجتماعي ، والمبحث الثالث : الصورة الحوارية في شعره العاطفي ، وكان ذلك بإيجاز بحسب ما تقتضيه مساحة البحث .

تمهيـــــد:

الشعر رسم بالكلمات التي ينتقيها الشاعر ؛ ليرسم بها المشاعر التصويرية كفنّانً يتلاعب بالرّيشة كيفما شاء ، وبكلمات تحمل في طيّاتها المعنى المكشوف بطريقة التلميح لا التصريح ، وباستدعاء وسائل الزينة من أجل إظهار المعنى في أجمل صورة وأبهى حلّة.

فالشعر من منظور الجاحظ صناعة كغيره من الصناعات مادّتها الخام هي المعاني ، وشكله بعد الصنع يتمثّل في الألفاظ ، وفي ذلك قال : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي والمدني " (1).

ويقول ابن سلاّم : " الشعر : صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات " (2).

(1) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، د ت ، ص 293

(2) في الميزان الجديد ، محمد مندور ، ط يناير 2004 م ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1/ 31 .

والصورة بأنواعها المختلفة لا سيّما الصورة الممتزجة بالحوار ، تظهر مكانتها في النص الأدبي ، وبخاصّة في الشعر الذي يكتسب أهميّة منها ، ويستمد القدرة على الإيحاء والتأثير ، فتصبح الكلمات التي لامستها الصورة بمثابة الينبوع الذي لا ينضب تغذّي الشعر وتحفّز الشاعر على المزيد [3].

لقد تحدّث عن الحوار الذي تظهر من خلاله الصورة قديماً وحديثاً الكثير من البلغاء والأدباء والكتّاب والنّقّاد والباحثين وتوسّعوا في حديثهم ، فنظروا إلى التصوير والحوار في الشعر بمنظارهم الذي يلائم عصرهم مع اختلافهم لطرق العرض والتناول تبعاً لاختلاف اتجاهاتهم ، وما زاد من ذلك التوسع ، اتجاههم للتحليل البلاغي لنصوص القرآن الكريم ، فنتج عن ذلك مفاهيم متميّزة .امتلأت بها كتب البلاغة والنقد [4] .

ومن خلال البحث يلاحظ أن عبد القاهر الجرجاني لم تكن الصورة عنده منحصرة في أنواعً بعينها كالتشبيه والاستعارة والتمثيل والكناية ، وإنّما هي الألفاظ من حيث هي أدلّة على معان لا من حيث هي " نطق اللسان وأجراس الحروف " [1] ، كما تحدّث الكثيرون غيره ، وكلٌّ له رؤيته .

أمّا الحوار: فهو أداة للتصوير ومظهر حسّي تتخلّله لغة مشحونة موحية تحمل استمرارية ، وتوظيف أسلوب الحوار في الشعر، إنّما هو بمثابة إضافة صوت يشعر من خلاله المتلقي بأنه جزء من المتحاورين ، فالحوار الشعري كان موجوداً منذ زمن المعلقات واستمرّ على مرّ العصور ، ومن خلال ذلك الكم الهائل من الأشعار ، يلاحظ أن الحوار كان ظاهرة تعبيرية مهمّة أفاد منها الشاعر في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وأفكاره إذا امتلك القدرة والقابليّة على ربط النص .

وخلاصة هذه التوطئة :

إن للصورة الظاهرة من خلال الحوار ، أهميّة تكمن فيما تستمدّه من قيم الذوق والإبداع بتعبير متوافق مع التجربة ومجسّد لها ، وما قيمة شعرٍ لا تتغلغل بداخله صورة حوارية تعكس في روحها عاطفة صاحبها ؟ وما القصيدة إلا مجموعة من الصور من بينها الصورة الحوارية ، يجسّدها الشاعر من خلال انتقائه للألفاظ المعبّرة عن أحاسيسه بحسب مقام الكلام

---

[3] ينظر : التحرير الأدبي ، حسن علي محمد حسين ، ط 5 ، 1425 ه ، 2004 م ، مكتبة العبيكان ، 1/ 38 .

[4] ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، ط 3 ، 19992 م ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ص 7 ، 8 .

[1] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه ، محمود محمد شاكر ، ط 1 ، 1422ه ، 1991 م ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، ص 27 .

للموضوع المراد التحدّث فيه شعرا ، فيصاحبه التفكير العميق في رسم صورة ، أو مجموعة صور مركبة يتخللها الحوار ، فتفصح عن قيمة العمل الفنّي .

وفي هذه الدراسة يتناول الباحث شخصية ليبية لها دورها الكبير في الشعر العربي عامة ، وفي الشعر الليبي خاصّة ، هو شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي ، وتبرز هذه الدراسة سمة تميّز شعره بروح الوطنية وحث الشعوب على النضال والكفاح ضد الاستعمار وهذا ديدنه طوال حياته .

شاعر الوطن من شعراء ليبيا المعروفين ، دعا إلى التجديد في الشعر بالتخلص من قيد الوزن والقافية ، فقال:

أَمَـا آنَ للشّعْـرِ أَنْ يستقـلَّ ** ويَخْلُـصَ مِنْ رِبْقَـةِ القَـافيَـة

فَقَـــدْ طَـالَ واللّـهِ تقييــدُهُ ** بِتَقْليــدهِ الأعْصُـــرِ الخَـالِيَـة [2] .

ولكن لم يلاحظ ذلك في شعره .

تأثر بشعراء المدرسة التقليدية ؛ لأن الشاعر نشأت ملكته الشعرية على صدى الاتجاهات الشعرية الحديثة ، وقد سعى إلى التجديد ، لكنّه لم يوضّح أو يضع قواعد أساسيّة لنوع التجديد الذي يريده [1] .

وبما أنّه ينتسب إلى المدرسة التقليدية ، ولكن هذا لا يعني أن شعره مماثلٌ لشعر الشعراء الكبار من ناحية السّبك أو صياغة التغيّرات ، والارتباط العميق بالتراث العربي، ولعلّ الأحداث المتوالية في بلاد الشاعر زمن الاستعمار الإيطالي مع غربته وحنينه إلى وطنه ، وقول الشعر بشكل سريع ومتلاحق للتعبير عن حق الشّعب في الحريّة كان هو السّبب في عدم إعطاء الشاعر فرصة للتعمق في صناعة شعره فنّياً ، والنظر إلى الشوائب التي تعتريه [2] مثلما يفعل غيره من الشعراء .

تأثر بالشاعر جميل صدقي(الزهاوي) ، وأظهر إعجابه به ، ويرى أنه يمثل التجديد ، وأن أسلوبه واضح ، ولا ينظر إلى نقد الناقدين ، ويأتي بالأفكار الجديدة الواضحة في شعره [3])، وقد رثاه بأبيات قال فيها :

كُنْـــتَ للتّجْديــدِ تَسْعـَى دَائِبَـــاً ** قـُـــمْ فألْهِمْنَـــا أفَانِيـــنَ الرّثَـــاء

---

(2) ديوان شاعر الوطن الكبير : أحمد رفيق المهدوي، إعداد لجنة الرفيقيات ، المطبعة الأهلية ، بنغازي ، ط 1 ، 1962 م ،الفترة الثالثة : ص 80 .

(1) ينظر : رفيق شاعر الوطن : خليفة التليسي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ط 1 ، 1988 م ، ص 54 .

(2) ينظر : دراسات في الأدب الحديث : بشير الهاشمي ، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ، طرابلس ، د ط ، د ت ، ص ، 84 .

(3) ينظر: رفيق في الميزان : عبد ربه الغنّاي ، مكتبة الأندلس ، بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 1967 م ، ص 113 – 115 .

عَلّنَـــا نَأْتِـــي بِفَـــنٍ غَيْـــرَ مَـــا ** كَـــانَ تَقْليـــدَاً لِفَنِ القُدَمَـــــــاء

سئِمَـــــتْ أنْفُسُنَـــا حتّـــى مَتَـــى ** نُقيّـــدُ الشّعْـرَ علَـــى حَـرْفِ الرّيَـــاء[4].

والدارس لحياة الشاعر يطّلع على أفكاره الأدبية والثقافية والسياسية في عصره، والمتغيرات المختلفة التي عايشها في جميع المجالات .

ـ مولده : ولد الشاعر في مطلع عام 1898 م في بلدة (فسّاطو) في الجبل الغربي (جادو حالياً) [5] ، تدرج في تعليمه ثم رحل إلى الاسكندرية ثم عاد إلى بنغازي ومنها إلى تركيا ثم عاد في العام الأول لاستقلال ليبيا [6].

ـ آثاره العلمية : شاعر له نتاج يتمثل في العديد من القصائد التي جُمعت في الديوان، وكان له الكثير من الآثار الشعرية والنثرية، حيث نظم في الشعر الشعبي والفصيح ، نُشِرتْ له قصائد في مجلة ليبيا المصوّرة ، منها ما يتعلّق بشخصية الطفل الليبي (غيث الصّغير)، وفي قصيدته يقول :

هـُـوَ فِـي المَلْجَـأِ مِـنْ دُونَ اليَتَامَـى ** دَائِـــمُ الصّمـْتِ وقَـارَاً واحْتشَامَـا

وَاضِـــحُ الجِـــدّ قَلِيـــلٌ مَـــا يُـــرى ** ضَاحِكَـــاً إلاّ إذَا اسْتَحْيَـــا احْتشَامَـــا[1].

هذا جزء من أبيات القصيدة التي تعكس حالة الليبيين داخل السجون والمعتقلات ، ومنهم ذلك الطفل الذي فقد عائلته .

وفاتـه : توفى رحمه الله في منتصف يوليو 1961م ، وبوفاته فقد الأدب الليبي شاعراً رفيع المقام والخلق ، فقد كان مفعماً بحب الوطن ومتشبّعاً بمرارة الاغتراب ويدعو إلى النضال ضد المستعمر [2] .

المبحث الأول : الحوار في شعره الوطني

الجدير بالذكر أن رحلات الشاعر المتعددة وغربته المتكررة ، وما ألمّت به من ظروف، كلّ ذلك أسهم في قصائد حوارية تلهب حماس المجاهدين وتذكي جذوة الجهاد في نفوسهم ، ويخاطب الوطن فيقول :

رَحِيلِـــــي عنك عَـــزّ عليْكَ جِـدّا ** وَدَاعَـــاً أيُّهَـــا الوَطَـنُ المُفـــدّى

سَأرْحَـــــلُ عَنـــْكَ يَا وَطَنِـي وإنّي ** لأَعْلَـــمَ أنَّنِـي قَـــدْ جِئـْتُ إدّا

---

(4) الديوان : الفترة الثالثة : ص 46 .

(5) معجم البلدان الليبية : الطاهر أحمد الزاوي ، مكتبة النور ، طرابلس ، ليبيا ، ط 1 ، 1388 هـ ، 1968 م ، ص 253 ، 254 .

(6) ينظر : المرجع السابق : ص 101 ، 102 .

(1) الديوان : الفترة الثالثة : ص 9 ــ 10

(2) الأعلام خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 15 ، 2002 م ، ج 1 ، ص 126 .

وَلَكِنّـي أطَعْـتُ إبـــاءَ نَفْسِـي ** أبـــتْ لإبَائِهَا فِي الكَـوْنِ حَـــدّا
عُلُـــوَّ النّفْـسِ إنْ عَظُمَـــتْ شقاءً ** يلَـــذُّ لمن إلَى المَجْـــدِ اسْتَعـــــدّا [1] .

يمثل الحوار الخارجي تقنية من تقنيات البناء السردي ؛ لتعويله على تعدد الأصوات والمشاهد التي تكسب النص قيماً موضوعية ؛ فتتعدد الأصوات في فضاء النص الشعري ، يُدْخل النص في حوارٍ يدفعه إزاء التصاعد الدرامي ويحقق القيم الدلالية والجمالية فيه ، ويستطيع الشاعر توظيف الحوار الخارجي في بنية العمل الشعري " إذ يؤدّي ذلك إلى كشف ملامح الشخصيات المتحاورة ، وقد يرسل الكلمة أو العبارة ، فتكشف عن الانفعال السّائد أو الموقف المراد التعبير عنه " [2].

وهذا الأسلوب يتناول موضوعات شتى ، وهو " طاغٍ في المسرحيّات وفي أقسام مهمة من الروايات ، ويفرض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس " [3].

والمتحاورون في العمل الفني يرتبطون بوحدة الحدث والموقف ؛ " لأن الحوار يلعب دوراً مهمّاً يتمثل في دفع العناصر السردية إلى الأمام ، إذ يرتبط وجوده بالبناء الداخلي للعمل الفني فيمنحه تماسكاً ومرونة ، واستمرارية " [4] .

خاطب الشاعر وطنه بنفس حزينة تملأها الحرقة على مفارقة وطنه ، وتكوّن حواره من صور حزينة أبزت صورة الوضع السياسي القائم آنذاك ، وذلك باستخدام الرمز لصعوبة الإدلاء برأيه فعزم على الرحيل ، فنفسه عزيزة أبيّة لا يرضي لها الضيم بالرغم من أن هذه المواقف انعكست سلباً على حياته ، والشاعر استخدم أسلوب التشخيص مع الوطن فهو يخاطب غير الناطق ، فيبعث إليه خطابه بصورة ذات إرادة، ويضفي إليه صفة الانسان العاقل، وفي شعره تظهر الوطنية التي تعطي شعره البقاء والخلود .

واستطاع الشاعر أن يتخلّص من الاتباعية إلى الابتداعية ، وذلك في اتجاهين رئيسين هما :

ـ الاتجاه الذاتي : الذي يرى في الشعر أنه تعبير عمّا يدور في نفس الشاعر وتأملاته في الكون ، ومما يدور فيه ، دون النظر إلى ما يدور حوله وما يحدث في المجتمع الذي يعيش فيه .

---

(1) ديوان شاعر الوطن الكبير : ص 53 ، 54 .
(2) (4) الرحلات الجمالية في الشعر العربي ، محمد الصالح السليمان ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، 2000 م ، ص 186 .
(3) المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، ط 1 ، 1979 م ، ط 2 ، 1984 م ، ص 101 .
(4) الحوار القصصي ، فاتح عبد السلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1982 م ، ط 3 ، ص 21

ـ الاتجاه الثاني : هو بخلاف ذلك ، حيث يرى أنه لابد للشاعر من النظر إلى ما يدور حوله ، وما يدور في مجتمعه ، ومحاوله معرفة كل ما في هذه الحياة ، ولا يكون الشعر مجرد تعبير عن خواطر الشاعر المجردة والمنفصلة عن الحياة ، كما في قوله :

تُحبّـُونَ قـَـوّالاً وأنتــمْ بِحَاجـةٍ ** إلــى عامـلٍ والعاملــونَ قليـــــلُ
فَهَلْ قـَامَ منْكُمْ بالـّذي قُلـتُ واحِـدٌ ** قــؤولٌ لِمـَا قـالَ الكـِرامُ فَعـُولُ ؟ [1].

وقد مال الشاعر إلى الاتجاه الثاني كونه أقرب إلى التجديد ؛ ولأن الشاعر لديه رغبة وميول لمعرفة كل ما يدور حوله في مجتمعه الذي يعيش فيه ، وهو الاتجاه الذي يرى من خلاله مرارة الواقع وعناصر الأحداث والمشكلات التي حصلت في المجتمعات ، ومن خلال ذلك يتبين أن الحوار: " حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة الهدف منها الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصّب ولا يشترط فيها الحصول على نتائج فورية " [2] .

مما تقدّم تظهر الصورة الحوارية من خلال مخاطبته الوطن فهو الرمز بالنسبة له ، ورمزية الوطن تظفي الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر الحزينة التي أنتجها الألفاظ (رحيلي ، وداعاً) والفعل المضارع المقرون بحرف السين وفي دلالته التصميم على الفعل (سأرحل)، وفي موقف الوداع تتجلّى صورة حزينة يصعب وقعها على النفس ، وكثيراً ما تفتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم ، وتذهب قوّة كل ذي بصيرة ، وتسكب كل عين جمود ، ويظهر مكنون الجوى [1] بالرغم من علم الشاعر المسبق بنتائج هذا الامر على نفسه ، فهو أمر فظيع له تأثيراته النفسية على الشاعر ، وقد دلّ على ذلك لفظ (إدّا) الذي استوحاه من القرآن الكريم في قوله جلّ وعلا: ﴿ لقد جئتم شيئًا إدّا ﴾ [2] ، وعلى الرغم من ذلك ، فإنه يمتلك نفساً عزيزة ، وهذا الاعتزاز بالنفس من الأهمية بمكان أن يؤخذ في الاعتبار رسم هذه الصورة الحوارية التي تنمّي الذوق الرفيع ، وتعبر عن فن قولي نابع من عمق التجربة الذي يعمّق المشاعر ويهز الوجدان ويجعل صورة الوطن باقية خالدة وماثلة في الأذهان .

---

[1] الديوان : الفترتان الرابعة والخامسة : ص 266 .
[2] فنون الحوار والإقناع : محمد راشد ، دار حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1999 م ، ص 11 .
[1] ينظر : طوق الحمامة في الألفة والألّاف، ابن حزم الأندلسي ، تح ، فاروق سعد ، مكتبة الحياة ، لبنان ، د ط ، 1975 م ، ص 212.
[2] سورة مريم : الآية 89 .

ولعلّ صيغة الحوار وأشكاله عند الشاعر موضوع الدراسة ، كانت دافقة بالحياة، وبما يصاحب ذلك الأداء من حركة وحيوية وذلك " لأن الحوار يرتبط بالشخصية ، فإنه يدل عليها من حيث وضعها الاجتماعي " [3] .

المبحث الثاني : الجانب الاجتماعي (غربة الأصدقاء)

يقدّر الشاعر الصّداقة ويعتزّ بالأصدقاء ، ويحرص على صلتهم ولقائهم ويحنّ إلى ذلك ، وبخاصّة عندما يكون في الغربة خارج الوطن ، وهو ينتظر العودة بفارغ الصبر ، وترتفع نغمة الغربة الاجتماعية في نفس الشاعر إلى نغمة حزينة يشعر معها بالإحباط أحياناً، فهي لفظة غنيّة بدلالاتها الانفعالية ، وتتكدس فيها المشاعر لحملها معنى التآزر والتّضامن ، ففي الحديث " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " [1] ، وهذا الود والتراحم الذي يجمع بين المؤمن والمؤمن هو ما يجمع بين الصديق وصديقه ، والعلاقة بينهما لابد أن تكون مبنية على أساس الحب في الله والبغض في الله أيضاً ، ومثل هذه الصداقة حريٌّ بها أن توصف بالأخوّة القائمة على الترابط والتكامل ، والأبيات التي يحاور فيها صديقه ، تصوّر مشاعر الأخوّة وتبيّن الحب الذي يكنّه الصديق لصديقه ، وفيها تعبيرٌ عن المشاعر والأحاسيس حيث يقول :

يـــا أَخِـــي هَزَّنِـي إليْـكَ اشْتِياقِـــي ** فَمَتَى يَا أَخِـــي يَكُونُ التّلاَقِي؟

لَمْ تَـــزَلْ غُصّـــة بِقَلْبِـــي إنّـــي ** لَـمْ أُوَدّعُـــكَ يَـــومَ الفِـــرَاقِ

كُنْـتُ مِثْـلَ الظّمْـآنِ قَـدْ فَقَـدَ ** مَـاءَ وَتمّـتْ وَفَاتُـهُ باحْتِـرَاقِ[2].

وجّه الشاعر من خلال الحوار الخارجي خطابه إلي صديقه ، وقد وظّف أسلوب النداء المتلطّف الذي خرج إلى معنى الإغراء بكلماتٍ مألوفة ، واضحة المعاني، رقيقة تبعث في النفس انشراحاً ، وتقوي من أواصر المحبة بين الصّديقين ، فجاءت الألفاظ ومجاوراتها التي تناسبها (يا أخي ـ هزّني ـ اشتياقي ـ التلاقي) تلك هي كلمات تنبض بالحيوية والتفاؤل يزخر بها المعجم الوجداني للشاعر ، " إن الكلمة في التجربة الجمالية إشارة حرّة تم تحويرها على يدي المبدع الذي يطلق عتاقها ويرسلها صوب المخاطب " [3] .

---

(3) (4) النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 م ، ص 56 .

(1) سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، تح ، أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 4 ، ص 325 .

(2) ديوان شاعر الوطن الكبير ـ الفترة الثالثة ، ص 129 .

(3) تشريح النص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة) عبد الله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط 2 ، 2006 م ، ص 18 .

وفي تجاور الفعل (هزّني) ولفظ (اشتياقي) مجاورة زادت من بهاء الصورة، فأكسبتها رونقاً وجمالاً وأخرجتها عن الدلالة المعجمية إلى دلالة جديدة " لأن الكلمة تبقي الوحدة الأساس للبناء اللغوي الفني " [1] .

بدأ الشاعر بأسلوب النداء ، والنداء " يشكّل أبرز مظاهر اللغة الانفعالية ، نظراً لما في أدواته من الصّيحات الناتجة عن الانفعال الحاد والمؤدّية للوظيفة الانتباهية والافهامية عند المخاطب " [2] ، واستعمال الشاعر لأسلوب النداء بذكر الأداة تارة وحذفها تارة أخرى ، هو انعكاس لبنية نفسية وحضور فكري بين الثبات والتمرد والحركة والسكون ، وبين الانفعال والاتزان ، وفي ذلك شرخ عميق لنفسية الشاعر، ثم استخدم أداة الاستفهام ، وأدوات الاستفهام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحالة الشاعر النفسية ، وما هي إلا تعبير عفوي خالص، فجميع أدوات الاستفهام تتمتع بقيم أسلوبية تأثيرية ، فالإحساس بعدم التجديد والقلق وتأثير البيئة وغيرها تعدّ جميعها قيماً أسلوبية مؤثّرة [3]، كما تظهر في الأسلوب ذاته اللغة الانفعالية البتي يستعملها الشاعر من أجل إيصال أفكاره مباشرة إلى المتلقي ، فهو أي النداء وسيلة من وسائل الخطاب البارزة التي يلجأ إليها الشاعر ؛ لعطف المخاطب إليه فهو " مركب لفظي يستعمل لإبلاغ المنادى حاجة ، أو لدعوته إلى إغاثة أو نصرة " [4] .

وفي هذا البيت جمع بين التكرار والحوار في قوله : (يا أخي)، ولعلّه " يسلّط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم ، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة " [5] ، كذلك فهو يحاول شدّ انتباه المتلقي وحمله على التفكير فيه ، ومن خلال التكرار أيضاً ، برزت الدلالة الأسلوبية وارتسمت صورة أكثر إيقاعاً فولّدت تناسباً صوتيّاً أسهم في الكشف عن مضمون خلجات الشاعر المتأثّرة بالحالة المرافقة له .

وفي البيت الثاني تظهر صورة وملامح الحسرة والحرقة ، فهو يتحسر ويتألم من عدم وداع صديقه ، ذلك ما أوقع في نفسه ألماً ، فجاءت الألفاظ الدالة على تلك الصورة الحزينة مؤكّداً على استمراريتها في قوله : (لم تزل ـ غصّة ـ لم أودّعك) ، وقد استخدم الرمز بصورة مباشرة ، فقد عبر عن الحياة بالماء وقد أجاد في ذلك ؛ لاستحضاره قوله تعالى : ﴿ وجعلنا

---

(1) عزف على وتر النص الشعري (دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية) ، عمر محمد الطالب ، منشورات اتجاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2006 م ، ص 58 .

(2) قضايا الشعرية : رومان جاكبسون ، ترجمة ، محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ،ط 1 ، 1988 م ،ص 27 .

(3) ينظر اللغة والإبداع الفني : محمد العبد دار الفكر والدراسات ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ص 69 .

(4) في النحو العربي نقد وتوجيه : مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 336 .

(5) قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، د ت ، ص 275 .

من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ [1] ، وكثيرا ما يلجأ الشعراء إلى الحقل الطبيعي ؛ لما في الطبيعة من ميدان خصب يتّسع لأفق الشعراء بما يؤدّي أغراضهم الشعرية كافّة ، وتحريك مشاعر وأحاسيس المتلقي بهذا الأسلوب ذلك ما أشار إليه الزركشي بقوله : " التّفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع واستجلاب صفاته واتّساع مجاوي الكلام وتسهيل الوزن والقافية " [2] .

وفي البيت الثالث يواصل رسم صورة يشارك فيها المتلقي في خياله ، صورة بالتشبيه تصوّر حالة الضعيف والعاجز الفاقد للعزم ورباطة الجأش، فعبّر بلفظ (الظمآن الوارد في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً)[3]، وعبّر بالظمأ بدلاً من العطش ؛ لأن اللفظ أقوى وأبلغ في دلالته ، وأوقع في أثره على نفس المتلقّي، ومثل هذا التمثيل عبّر عنه الجرجاني بقوله: " يريك الحياة في الجماد ويريك التئاماً بين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين " [4] ، وبهذا يكون الشاعر قد قدّم صورة الوصف للقارئ ، فسعى إلى اعتماد أسلوب التشبيه ، بغية نقل الصورة إلى المحسوس المدرك لدى المتلقي، فاستخدم الألفاظ (الفراق ـ التلاقي ـ الحياة بالماء ـ الموت بالاحتراق) وكل ذلك يتناسب مع الموقف ؛ ليخدم غرضه الفنّي ، ويسهم في إغناء عمله الأدبي ، ولم يكن هذا التضخيم في الألفاظ بأقل أهميّة في جعل الصورة المتخيلة أكثر تعلّقاً في ذهن المتلقّي ، ولا شك في أن التجاوب الموسيقي بين القوافي تطرب له الأذن وتهتز له لأوتار القلب .

وفي الجانب الاجتماعي أيضاً أبيات حوارية للشاعر عندما عِيبَ عليه صمته في مواقف معيّنة ، فتكلّم الشاعر بعد صمته معاتباً لعدم اتباع نصحه وإرشاده فقال :

يَقُولُ النّاسُ: مَالَكَ اليَوْمَ سَاكِتٌ ** وَقَدْ كُنْتَ فِي كُلّ الخُطُوبِ تَقُولُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : يَا طَالَمَا قَدْ دَعَوْتُكُمْ ** فَلَمْ يَكُ مِنْكُمْ للدُّعَاءِ قُبُولُ
وَحَرّكْتُ نُوّامَاً فَكُنْتُ كَأنّنِي ** أزِيدُ بِهَزّي نَوْمَكُمْ فيَطُولُ
تُحَبّونَ قَوّالاً وَأنتُمْ بِحَاجَةٍ ** إلَى عَامِلٍ والعَامِلُونَ قَلِيلُ
فَهلْ قَامَ مْنكُم بالذِي قُلْتُ وَاحِدٌ ** قَؤولٌ لِمَا قَالَ الكِرَامُ فَعُولُ؟ [1] .

---

[1] سورة الأنبياء : الآية 30 .
[2] البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، تح ، محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ط 2 ، 1957 م ، ص 390.
[3] سورة النور : الآية 39 .
[4] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ص 445 .
[1] ديوان الشاعر : الفترتان الرابعة والخامسة : ص 266 .

في الأبيات السابقة لجأ الشاعر إلى استخدام حوار الصراحة ، وما دلّ على ذلك استخدام الصيغ القولية ، والنفي ، والتشبيه ، والاستفهام في صورة المعاتبة ، فكلّما دعا قومه إلى الى شحذ الهمم والوقوف في وجه المستعمر ، أحسّ منهم بالتخاذل أحياناً ، وأن نصحه وإرشاده إيّاهم ، لم يغيّر منهم شيئاً ، أو يحرّك لهم ساكناً ، فالوطن في ظنّه يحتاج إلى ترجمة الأقوال إلى أفعال .

وفي هذه الأبيات تلتقي صورتان ، صورة شاعر ذو همّة عالية يطمح إلى هزيمة المستعمر ويحرك الهمم الراكدة ، مع صورة تدفع به إلى اليأس والإحباط ، فهو يخاطب من يسمع ولا يعمل ، وقد رسم في البيت الثالث صورة من واقع الحياة العامة زادها التشبيه وضوحاً ، هي صورة الطفل الذي يأتيه النعاس مع كثرة الاهتزاز ، صورة كلاسيكية أقرب ما تكون إلى صورة فوتوغرافية عن الواقع ، فأبرز من خلالها فكرة أو خاطرة ، كانت وسيلة لإدخال موضوع مجرّد وتقريبه من ذهن المتلقي ، وقد جعلها في قالب حوار من إنتاج عقلي مباشر ناتج عن شاعرية مركبة من خيالٍ وفكر ، ثم ختم بالاستفهام الذي أساسه طلب الفهم ، وإظهار عدم الارتياح لمن يخاطبهم ، وتثبيت الأمر في ذهن السّامع أو القارئ .

المبحث الثالث : الجانب العاطفي

في صورة حوارية أخرى تتجلّى من خلالها صورة غرض من أغراض الشعر المعروفة وهو غرض الغزل ، والغزل : " مادة حيّة من مواد الغناء ، فإذا ذكرنا موائد الشعر كانت صفحته أحب ألوانه إلى النفوس وأقربها إلى الوجدان " [1].

وما يلاحظ على الشاعر أنه من المولعين بالجمال لا سيّما في من أحبّها وشغف بها ، فالشاعر لم يترك أوصاف القصيدة العربية ، حيث توجد لديه التعبيرات التقليدية ، ومحبوبته تستقل بشخصية مميّزة لذاتها بما كان يصدر عن نفسه من عاطفة قوية تجاهها، ومن هذا الفن قصيدته التي قال فيها :

مَـلَـكَ الهَـوَى قَلْبِي فُطَـالَ عَنَائَـي ** وازدَاد إذْ زادَ الغَـــرامَ شَقائِـي
رِفقَـــاً بقلبٍ ليْسَ في سُوَيْدَائِـهِ ** إلّاكِ بيْنَ محَبــةٍ ووَفـــاءِ
دَاوِي بوَصْلـكِ داءَ هَجْـرِكِ إنّـي ** مِنْ داءِ حبـكِ لا أرِيـدُ شِفَائِـي
مَـا لُذْتُ بالصّبْرِ الجَمِيلِ تَحَمُلاً ** للْهجْـرِ إلا زادَ فيـكِ رجائـي[2].

(1) مواقف في الأدب الأموي : عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت ، ط 1 ، 1411هـ ، 1991 م ، ص 143 .
(2) ديوان شاعر الوطن الكبير : ص 173 .

الحديث في الغزل أو الحب حكاية قديمة قدم الإنسان على ظهر الأرض ، بل قبل أن تطأ قدماه أديم هذه البسيطة ، وكثيراً ما تبارى الشعراء في الغزل الذي يعدُّ مرحلة من مراحل التفتح بصورة لافتة للنظر ؛ لأنه شعر النفس الإنسانية والتجربة الشخصيّة المباشرة المتّسمة بالحدّة والحماسة والحرارة والفطرة ، ومن خلال ذلك أصبحت العلاقة بين العاشق والمعشوق والمحب والمحبوب نفحات من أرقّها ما جاء على لسان أحمد شوقي الذي رفع للحب هيكلاً علويّاً وبعداً سماويّاً [3] حيث يقول :

صونـي جمالـك عنّـا إننـا بشـرٌ ** مـن التـراب وهـذا الحسـن روحانـي

أو فارتقــي فلكـاً تأوينــه ملكـاً ** لا تنصبـي شركـاً فـي العالـم الفانـي[4].

استعار الشاعر موضوع الدراسة الأوصاف التقليدية وركّز على الجوانب الحسّيّة فأخذ أوصافه وتشبيهاته من الخزائن القديمة ، فالعاشق لا يداوي داءه غير الوصال لحبيبته ، فكان الحوار من جانب واحد بعاطفة جيّاشة لم تقف عند جدٍ معين ، بل منحت النص نجاحاً موضوعيّاً بنفادها مع كلّ بيتٍ حتى يحس المتلقي بلوعة الشاعر ومعاناته ، فيشاركه آلامه وهذا أمر طبيعي عندما يتميّز في القصيدة البعد الذاتي مع البعد الاجتماعي العام ، فإن ذلك يمزج بين عواطف الذات وهموم الأخرين ، والشاعر بهذا ، إنما يريد " إعادة تشكيل حالات المتلقي العاطفية ، وبخاصة التعبير عما قد يصاحبه من تأثيرٍ أو لذّةٍ أو حادثة انفعالية " [1] ، وقد مزج بين الأسلوبين الخبري والإنشائي واستعمل أسلوب الأمر متمثّلاً في قوله : (رفقاً ـ داوي) ، ولا شك أن هذا التنوع في الأساليب والتنقل بينها ، يؤثّر في المتلقي بما يثير خياله ، ويؤثر في لغة النص حيث يثري دلالات الأبيات .

إن ميل الشاعر إلى مخاطبة الموجودات سواء أكانت حيّة أم جامدة ، يعكس رغبته في الاندماج بالأشياء التي تحيط به ؛ ليبث إليها نجواه ، وذلك لأنه " يحرص على إحياء الأشياء حوله وتأنيسها ومخاطبتها وخلق الإحساس الإنساني فيها ، فتبكي لأوجاعه، وتحنّ لحنينه ، وتسمع أقدس عواطفه وأنبل اختلاجاته " [2].

يدرك الشاعر أن القلب مصدر الإحساس ، فأراد الرفق به ، وتفاعل مع الحب والهوى والحزن والألم ، وقد جاءت دلالة الفعل الناقص (ليس) للإثبات بالرغم من أن الفعل يفيد

---

(3) ينظر: ديوان كان لي قلب ، راضي صدوق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1962 م ، ص 10 .

(4) الشوقيّات : أحمد شوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1986 م ، ج 1 ، ص 146 .

(1) نظرية اللغة والجمال في النقد العربي : تامر سلوم ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، اللاذيقية ، ط 1 ، 1983 م ، ص 170 .

(2) دلالات التراكيب : دراسة بلاغية ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1 ، 1979 م ، ص 266 .

النفي ، ولكنّه من خلال السياق أثبت به وأكّد على أن حبيبته هي التي تسكن سويداء قلبه ، وليس لغيرها مكان فيه ، ومما يزيد من التأكيد مجيئ فعل الامر الثاني في البيت الثالث (داوي بوصلك) ودلالته على شدة القرب ؛ لارتباطه ومجاورته للفظ (وصلك) ، ومن هنا يحث الشاعر محبوبته على ابتكار الأمل من داخل لحظات الأمل ؛ ليحمي نفسه من اليأس ، ويسعى لتغيير الواقع الحزين إلى واقع يحمل التفاؤل والأمل برجوع الوصل بعد الهجر ، والتماس من الشاعر لنظرة تحقق نسيان الماضي بكل آلامه والنظر إلى المستقبل بكل آماله

الخاتمـــــــــــــــة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات ، ومنها نعمة إتمام هذا البحث المتعلّق بإبراز شخصية ليبية لها أثرها الكبير في الشعر العربي عامة ، وفي الشعر الليبي خاصة ، حيث تعلّقت الدراسة الموجزة بالبحث في بعضٍ جوانب من أنماط الحوار في شعر أحمد رفيق المهدوي ، وقد خلُصت الدراسة إلى نتائج منها ما يلي :

ـــ هذا الشاعر من شعراء ليبيا المعروفين . .

ـ بيّنت الدراسة تعلّق الشاعر بالمدرسة التقليدية ، وإن كان قد طالب بالتحرر من قيود الأوزان التقليدية السائدة في الشعر العربي ، فلم يختلف أسلوبه عن أساليب السابقين ، وقد يكون الاختلاف فقط في صدق المشاعر وقوة العاطفة .

ـ تميّز شعره بسهولة الألفاظ وبساطتها ، وهو ما يتناسب ومستواه في عصره .

ـ الشعر بالنسبة له هو الصديق الحميم والمتنفس الذي يعبر من خلاله عما يدور في نفسه ، وهو الذي يسلّيه في غربته القاسية .

ـــ تميّز شعره بصدق العاطفة ووضوح المعاني وسهولة الفهم .

ـ يلاحظ المتلقي عناية الشاعر بالصور الحوارية ، وقد وردت في أغراض متعددة من شعره .

ـــ ظهرت نغمة الحوار ممزوجة بالحزن والشّكوى ، مع لجوئه لاستخدام الرمز .

ـ صنّف الحوار إلى فئات تشمل الوطن والأصدقاء والمحبوبة ، وكان لهؤلاء دور في إنجاح أسلوب الحوار القائم على تصوير العواطف الإنسانيّة الصّادقة والمشاعر الجيّاشة النابعة من صميم القلب .

المصـــــادر والمراجـــــع :

- القـــــرآن الكريـــــــم بروايـــــة حفـــــص .
- الحديـــــث الشريـــــــــف :

1 / سنن الترمذي : محمد عيسى الترمذي السلمي ، تح ، أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت .

• كتـــــــب الترجـــــــــــــم :

1 / الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 15 ، 2002 م .

2 / معجم البلدان الليبية ، الطاهر أجمد الزاوي ، مكتبة النور ، طرابلس ، ليبيا ، ط 1 ، 1388 هـ ، 1968 م .

• الدواويـــــــــن الشعريـــــــــة :

1 / يوان شاعر الوطن الكبير ، أحمد رفيق المهدوي ، إعداد لجنة الرفيقيات ، المطبعة الأهلية ، بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 1962 م .

2/ ديوان كان لي قلب: راضي صدوق ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط 1 ، 1962 م .

3 / الشوقيات : أحمد شوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1986 م .

• كتـــــــــــــب الأدب

1 / البرهان في علوم الفرآن ، بدر الدين الزركشي ، تح ، محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ط 2 ، 1957 م .

2 / التحرير الأدبي : حسين علي محمد حسين ، مكتبة العبيكان ، ط 5 ، 1425 هـ ، 2004 م .

3 / تشريح النص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة) عبد الله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ،ط 2 ، 2006 م .

4 / الحوار القصصي : فاتح عبد السلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط 3 ، 1982 م .

5 / دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني ، جدّة، ط 1 ، 1422 هـ ، 1991 م .

6 / رفيق شاعر الوطن : خليفة التلّيسي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ط 1 ، 1988 م .

7/ رفيق في الميزان : عبد ربه الغنّاي ، مكتبة الأندلس ، بنغازي ، ليبيا ط 1 ، 1967 م .

8 / الصورة الشعرية : دي لويس، ترجمة ، أحمد ناصيف الجنابي وآخرون ، الكويت ، 1982 م .

9 / الصورة الفنيّة في التراث النقدي البلاغي عند العرب : جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1992 م .

10 / طوق الحمامة في الألفة والألّاف : ابن حزم الأندلسي ، تح ، فاروق سعد ، مكتبة الحياة ، لبنان ، د ط ، 1975 م .

11 / عزف على وتر النص الشعري (دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية) ، عمر محمد الطالب ،منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2006 م .

12 / علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) أحمد قاسم ، محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط 1 ، 2003 م .

13 / فنون الحوار والإقناع : محمد راشد، دار حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، 1999 م .

14 / الفن ومذاهبه في الشعر العربي : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، د ت .

15 / في الميزان الجديد : محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، والتوزيع ، 2004 م .

16 / في النحو العربي نقد وتوجيه : مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د ط ، د ت .

17 / قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت ، ط 5، د ت .

18 / قضايا الشعرية : رومان جاكبسون ، ترجمة ، محمد الولي ، مبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، ط 1 ، 1988 م .

19 / اللغة والإبداع الفني : محمد العبد ، دار الفكر والدراسات ، القاهرة ، د ط ، د ت .

20 / مواقف في الأدب الأموي : عمر فاروق الطبّاع ، دار القلم ، بيروت ، ط 1 ، 1411 هـ ، 1991 م .

21 / نظرية اللغة والجمال في النقد العربي : تامر سلوم ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، اللاذيقية ، ط 1 ، 1983 م .

22 / النقد التطبيقي التحليلي : عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1986 م .